كأن تحت إخمصيها جمـــرة مشتعله
باسمـــةٌ يحسبها كل فتى تبسم له
أبدلهـــا خالقها بكلّ عظمٍ عضله
جسم كموج عيـلم تسبح فيه الأخيله
تحسب فيـــه كل عضوٍ وحدةً منفصـــله
فى مرقص لا يصـــرف الهم فؤاد نزله
الهمُّ فيـــه واقفٌ خجلانٌ يُخفى خجله
دعنى أصلُّ ساعة عبء التقى ما أثقله
ما كنت من أهل المسوح والذقون المسبله
كم ورعٍ مصطنعٍ وعفـــةٍ مفتعـــله

* * *

وأخيراً انظر إليه فى النقد الصائب واللوم العـادل والتنبيه إلى الواجب ، إذ يصف بنى قومه الذين يترسمون خطى الغرب دون تخير أو استثناء :

يترسمون الغرب حتى يوشكوا أن يعبدوه عبـادة الأصنام
ما قلدوهم مبصرين وإنمـا تبعوا نظامهمُ بغـير نظامِ
ما صاغ ربك من نضار خالص شعباً ، وشعباً من حصىً ورغام

* * *

هذا الـكثير المختار من بضع قصائد عامرة قليل من كثير ، ولعمر الحق إن شاعراً تقع له مثل هذه الإجادة وتصاد من ساحله كل هذه الدرر ، لهو بحر زاخر لا يجوز أن نطمره أو نضع فى سبيله الحواجز والسدود ، بل يجب أن نهيئ له الحياة التى اختارها وأحسن وصفها فيما سبق لى نقله من أنّات آلامه وحشرجات شكاويه ولعل هذا الصوت الضعيف يصل إلى آذان القادرين من إخواننا المصريين ، فيجد صدًى فى نفوسهم يستفزهم إلى إنصاف هـذا الشاعر المجيد المغبون فيعود إلى مصر حافظها متقمصاً فى شخص محمود غنيم .

توفيق ضعوده

الربيـــع

فى باريس

نظم الشاعر هذه الأغنية وهو موجع الجنب ، سنة ١٩٢٨ ؛ ثم نظر فيها وزاد عليها . وفى المقطع الثانى من القصيدة إشارة إلى انبثاق الربيع فى باريس بعد طول حبس الشتاء له ، وإشارة إلى الثلج الغشى وجه الأرض يمحوه الربيع فيعيد العالم .

عانقِ العـــودَ وهاتِ هَمْسَ أنغامِ الشكاةِ
خفِّفِ اللَّمْسَ عن الأو تارِ واضربْ فى أناةِ
كلُّ ما رنَّ وبثَّ الـــهمَّ نَبْضٌ من فؤادى

يا ربيعاً واثباً كالنَّـــهْدِ من ظُلْمِ حِجابِ
ناثراً فوق مشيبِ الـــأَرْضِ آياتِ الخِضابِ
هَدأَ اللحْظُ به هَدْ أَةَ حيرانَ بهادِ

يا ربيعاً ناسجاً أسْـــرارَ تحنانِ الفتاةِ
حولَ أثمارٍ رِطابٍ تتدلّى داعيـــاتِ
فرِحِ الطَّيْشُ به فَرْ حَةَ محرومٍ بزادِ

عُطِّلَتْ عيـــدانُك الغُـــنُّ بترداد عِتـــابى !
جئتَ كالفجر يُعانى خدُّه جَهْمَ الضَّبابِ
جئتَ بالهوِ فؤاداً طاحَ مسلوبَ القيادِ

عانقِ العـــودَ وهاتِ هَمْسَ أنغامِ الشكاةِ
خفِّفِ اللَّمْسَ عن الأو تارِ واضربْ فى أناةِ
كلُّ ما رنَّ وبثَّ الـــهمَّ نَبْضٌ من فؤادى

باريس

بشر فارس